دور الصناعة السينمائية الامريكية في رسم معالم الصورة السلبية للإسلام

The role of the American film industry in shaping the negative image of Islam.

عبد الحق زغدار جامعة باتنة 1

سامية بن حجاز جامعة باتنة1.

ملخص :

تشكل الصناعة السينمائية احدى اهم اشكال القوة الناعمة التي توظفها الولايات المتحدة الامريكية ضمن اجندتها المعادية للاسلام و المسلمين ، باعتبارها الصناعة السينمائية أداة للغزو الثقافي ووسيلة لتسويق الصورة النمطية للمسلم الماثلة بشكل دائم بالجهل و العنف و التعصب ، وهو ما يخدم مصالح صانعي الصورة ، وغير بعيد عن مسعى التنميط المتعمد نجد ان عملية التغطية التزييفية للإسلاميين لطالما ارتبطت لدى العقل الغربي بالجهاد و اعمال الإرهاب من اجل الوصول الى تكوين راي عام يتماهى مع السياسات و الإجراءات التي توظفها الحكومات في تعاملها مع الإسلاميين .

الكلمات المفتاحية : الصناعة السينمائية ، الصورة السلبية، أمريكا ، الإسلام .

مقدمة

يمكن العودة ببدايات تكون الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والمسلمين في العقل الغربي إلى بداية العلاقة التي نشأت وتطورت بين الإسلام والمسيحية خلال القرون الأولى لظهور الدين الإسلامي، ومع بداية العصر الحديث تمكنت القوي العثمانية من بسط نفوذها على اوروربا وهو ما أدى إلى تعميق الشعور الغربي بأن الإسلام شكل تهديدا خطيرا لوجوده،

وفي أواخر القرن الحادي عشر ومع بداية الحروب الصليبية دخلت العلاقة بين المسلمين والغرب مرحلة جديدة اتسمت بالصراع والتعصب بين الحضارة الإسلامية والغربية نتيجة تعارصهما في مرحلة من مراحل النمو والتطور، وهو ما يؤكده مؤرخو الحملة الأولي علي العرب والمسلمين ومدى التعصب الذي كان يحكم أوروبا الكثوليكية آنذاك. [1]

وقد تبلورت النزعة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين مع بداية مرحلة الغزو الاستعماري، حيث لم يقتنع الغرب وفقا لما أورده السيد ياسين في كتابه " الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر"

بالترويج لصورة مزيفة عن العرب تتسم بالاجمال بل أنه حرص من خلال فلاسفته وباحثيه على رسم صورة تفصيلية تركز على تخلف المسلمين سيما ما قرره جورج ديهايمل – عضو الاكاديمية الفرنسية – في كتابه " حضارة التاريخ " بأن الذهنية الشرقية عاجزة تمام العجز عن التفكير التركبي وعن تحاور الذات. [2]

ولم يتوقف مسار رسم الصور النمطية المزيفة عن الإسلام والمسلمين عند مرحلة الغزو الاستعماري وإنما انتقل إلى مرحلة جديدة عمل ضمنها على تهيئة المناخ الغزو الثقافي من خلال إرساء قنوات تحريضية كانت اخطر من سابقيها، أسهمت في تكوين الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والمسلمين وترسيخها في العقل العربي.

كما ظهرت في الفترة المعاصرة وسائل إعلام جماهرية أضافت للمشكلة بعدا جديدا تمثل في إسهامها الخطير في نقل الصورة النمطية عن الإسلام والعرب من الدوائر السياسية الأكاديمية إلى دائرة أوسع ألا وهي الدائرة الشعبية.

ولقد تمكنت وسائل الإعلام الجماهيرية وفي مقدمتها الصناعة السينمائية بما تملكه من قدرة على الجذب والتأثير تمكنت من جعل الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والمسلمين من صميم اهتمامات الفرد الغربي، ومن هنا تنبع خطورة الصناعة السينمائية في ترسيخ الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين في العقل الغربي. [3]

II.الصورة النمطية للإسلام والعرب في السينما الأمريكية

1. **مفهوم السينما والفيلم السينمائي**: تعد السينما من وسائل الاتصال الأكثر تأثيرا على الجماهير، ولذا فهي تعرف بأنها "الوثيقة المرئية لعصرنا، التي قد صاغت لغته الأساسية من مفردات الصور وحولت الخيال إلى حقائق من الضوء والظل، فهي بذلك تعد الفن الجامع الذي استطاع أن يستفيد من كل الفنون التي عرفتها الخبرة البشرية".

كما تعرف الموسوعة العلمية العالمية السينما بأنها اختصار السينماتوغراف (Cinématographe)التي تعني تقنية إنتاج الصور المتحركة، أو هي فن إنتاج الأفلام السينماتوغرافية وإخراجها، أو هي تقنية لتصوير وعرض الصور المتحركة، أو هي صناعة لإنتاج وتوزيع الأفلام. (4)

وعموما يمكن التوصل الى تعريف السينما على أنها" وسيلة إعلامية جماهيرية للتوجيه والإقناع والتثقيف والتعليم، ويمكن أن تكون وسيلة هدم جماهيري أو فساد شعبي لو أسيء استخدامها وفسد مضمونها.

وذلك بالتركز على دور الصناعة السينمائية في الترويج للصورة السلبية للمسلم ومعتقده

2- **كرونولوجيا الأفلام السينمائية المسيئة للإسلام والمسلمين:** لم تفتأ السينما الأمريكية تقدم الفيلم تلو الفيلم لذي يقدم صورة مشوهة للعرب والمسلمين وفي نفس الاتجاه نجد فيلم (غلابولي (Gallipoli-للنجم (ميل غيبسون) المنتج عام 1981يطرح صورة عن مصر لا تختلف عن تلك التي رسمها فلوبير في كتاباته، فهنا يؤدي (ميل) دور جندي استرالي التحق بالجيش الإنجليزي أثناء الحرب العالمية الأولى فذهب إلى مصر التي كانت حينذاك مستعمرة بريطانية، وفي أثناء تجواله في الأحياء المصرية، لا يشاهد من المصريين سوى الراقصات والغواني. أيضاً في فيلم (المومياء (The Mummy-المنتج عام 1999 يظهر المصريين فيه بمظهر المتخلف الجاهل في مقابل صورة المتحضر والسامي للشخصيات الغربية. والمصريون هنا لا يمثلون أنفسهم فحسب، بل الشرق كله، الشرق المتخلف كما تختزنه الذاكرة الغربية..

لكن ماذا عن الإرهاب؟.. هناك أفلام عديدة ربطت مباشرة بين الإرهاب والإسلام، والأمر ليس كما يظن البعض أن السينما والإعلام الغربي لم يمارس ضغطه على الإسلام إلا بعد أحداث سبتمبر، كلا، فقد حدث ذلك منذ سنوات بعيدة، منذ بداية التسعينات، حين احتدمت المواجهة بين أمريكا والتنظيمات الجهادية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، حينذاك غيّرت هوليود

سياستها من مهاجمة العدو الشيوعي إلى العدو المستقبلي، الإسلام، وهي في ذلك تسير في فلك الإدارة الأمريكية التي ابتدعت لها عدواً جديداً يكفل لها بسط هيمنتها على العالم، وقد تم ذلك بمعونة من كبار استراتيجييها من أمثال هنتغتون وفوكوياما. وإذا ما رغبنا في تحديد أبرز الأفلام التي صورت المسلمين كإرهابيين مؤكدين فإننا لن نخرج عن قائمة من الأفلام تضم: (الحصار The Siege) المنقذ (Savior، أكاذيب حقيقية (True Lies-وَ(صانع السلام- The Peacemaker) وكلها أنتجت قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر..

في فيلم (الحصار) الذي أنتج عام 1998 يقوم النجم (دنزل واشنطن) بأداء دور محقق في قوة مكافحة الإرهاب التابعة ل FBI يطارد خلايا إرهابية إسلامية ستقوم بعمليات داخل أمريكا، ونتيجة لنجاح هذه الخلايا في تفجير بعض المواقع الأمريكية الحساسة، مثل مبنى الـــFBI الذي تعرض لعملية انتحارية، تقوم الحكومة الأمريكية بإنزال قوات الجيش إلى الشوارع من أجل محاصرة العرب والمسلمين واعتقالهم وحشرهم في معسكرات شبيهة بتلك التي استخدمتها القوات النازية ضد اليهود في الحرب العالمية الثانية. ورغم أن الفيلم ألمح إلى تورط الإدارة الأمريكية ممثلة بوكالة المخابرات المركزية التي صنعت ودربت هذه الخلايا إلا أن ذلك تم دون نفي لارتباط الإسلام بالإرهاب. وعلى أي حال فالفيلم ليس مطلوباً منه أن يفعل ذلك، أن يكون مثالياً ويدافع عن الإسلام، كونه في النهاية يمثل وجهة النظر الأمريكية التي كانت في ذلك الوقت مشحونة من التنظيمات الإسلامية ومصدومة من العمليات التي وجهت إليها في نيروبي ودار السلام. إذن فهو يقدم الواقع كما يعيشه الأمريكيون، ولم يجنح كثيراً ويقلب الحقائق كما فعل فيلم (المنقذ- Savior) الذي ظهر عام 1998 وصور الإرهاب الإسلامي والرعب الذي عاشته البوسنة والهرسك بسببه خلال الحرب الأهلية اليوغسلافية التي جرت بداية التسعينات. فالفيلم يرسم الصورة مقلوبة حيث يظهر الصرب كضحايا والمسلمين كإرهابيين قتلة يرقصون على جثث النساء الصربيات. وهذا كله زيف وخداع وقلب للحقائق مريع..

أما فيلم (أكاذيب حقيقية) المنتج سنة 1994 للمخرج (جيمس كاميرون) –مخرج فيلم تايتانيك– فهو لا يعدو أن يكون فيلماً تجارياً يتعلق بقضية الإرهاب بطريقة مفتعلة، فالمكونات التي يحتويها هي غالباً مكونات أي فيلم إثارة تقليدي، فهنا جندي في الاستخبارات الأمريكية –يؤدي دوره آرنولد شوارزنجر– يدافع عن وطنه أمام عصابة من المجرمين القتلة، وصادف أن هذه العصابة مكونة من المسلمين، وبعد هذا الكشف يسير الفيلم بطريقة تقليدية لا تحمل خصوصية في المعالجة ولا في الأسلوب، ولا يتبقى منه في

النهاية سوى تلك الفكرة التي تصور الإسلام إرهاباً خالصاً.. وهذه الفكرة التي سعى الفيلم إلى تكريسها ليست سوى نتاج لترسبات كريهة اختزنتها الذاكرة الغربية منذ سنوات طويلة.. حتى قبل أحداث سبتمبر..

أما عن فيلم المملكة(The Kingdom) فهو يدور حول عملية إرهابية ضربت مجمعا سكنيا في الرياض، وتعامل الأجهزة الأمنية السعودية مع هذه العملية بدءا من الفوضى في التعامل مع الأدلة، مرورا بالعلاقة المتوترة مع فريق التحقيق الأمريكي التابع لمكتب التحقيقات الفدرالية وانتهاءً بالقضاء على الجناة.

III قراءة في كتاب جاك شاهين "الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية"

ويعد هذا الكتاب امتداداً لكتاب «عرب التليفزيون» الذي نشره جاك شاهين الأمريكي ذو الأصول اللبنانية عام ١٩٨٤ للدفاع عن الشخصية العربية. المؤلف كما توضح مسيرته الفكرية، حيث قدم أيضاً عام ٢٠٠٨ كذلك كتاب «مذنبون: حكم هوليوود على العرب بعد الحادي عشر من سبتمبر»، مهموم دوماً بصناعة الكذب الذي يروج له السينمائيون الأمريكيون، فهوليوود لها تأثير السحر على العقول، والمواطن يصدق ما يراه من صور ولا يستطيع أن يميز الحقيقة من الخيال، خصوصاً وأنه يفتقد المعلومات الصحيحة التي يمكنه اللجوء إليها عند الحكم على الآخرين.

وهذا الأمر شديد الخطورة كما جاء في تقديم الكتاب: «القوة التي تصور بها بعض «آخرون» غرباء وخطرين بالفطرة وباعتبارهم مخلوقات كريهة لا تتشابه مع الباقين، لهى قوة مدمرة مثلها مثل الأسلحة الفتاكة». والصور المنحازة «تحدث نوعاً من العمى وسط الأمريكيين الآخرين، أولئك الذين يستهلكون دون عمد هذه البروباجندا منذ أجيال في أثناء عملية الترفيه عن أنفسهم.« جاك شاهين في كتابه حلل ٢٠٠ فيلم من أصل ٩٠٠ فيلم شوهت جميعها صورة العرب وصورتهم بشكل مشين وشائه في كافة الجوانب. واعتبرتهم سلبيين ومصدراً دائماً للتهديد ويستحقون القتل ويبدو أن ثمة إستراتيجية متعمدة في ذلك لأن عدداً قليلاً جداً من الأفلام، ١٢ فقط، التي تعاملت بشكل يقترب من الموضوعية عند معالجة صورة العربي. هوليوود تتعمد تكرار الصور الكاذبة: «هوليوود على مدى أكثر من قرن وهى تستخدم التكرار كأداة للتعليم، ولتحفيظ رواد السينما بفعل التكرار مرة بعد مرة الصور الشريرة والكريهة للعرب». تأصلت هذه الصورة المجحفة بعمق في السينما الأمريكية»: ظلم مارسته السينما بانتظام وبانتشار ودون اعتذار أو تبرير، وبهدف تحقير شعب وتجريده من إنسانيته». يكتب شاهين: «وصم المخرجون على نحو جماعي كل العرب بتهمة العداء للجماهير وبأنهم متوحشون لا قلوب لهم، همجيون، متعصبون دينياً، مهووسون بالأموال،

وعلى المستوى الثقافي يمثلون (الآخر) الذي دأب على إرهاب الغربيين المتحضرين» ويؤكد: في عدد لا حصر له من الأفلام قدمت هوليوود الإجابة المزعومة- على سؤال من هو العربي- بأن العرب هم برابرة متوحشون مغتصبون حقراء، مستغلون للنساء.

«إنهم العرب: يشبهون بعضهم البعض بالنسبة لي» هكذا تفوهت بطلة فيلم «الشيخ يخطو خارجاً» (١٩٣٧)، «كل العرب متشابهون» هكذا قال أيضاً بطل فيلم القائد (١٩٦٨)، وتوالت المراحل بعد ذلك من دون أن يتغير شيء، ففي فيلم «الرهينة» (١٩٨٦) يمزح سفير الولايات المتحدة قائلاً: «لا أستطيع التمييز بين عربي وآخر، نصفهم ملفوفون هكذا في ملاءات الأسرة تلك، يبدون كأنهم جميعاً نفس الشكل بالنسبة لي.«

ويتساءل المؤلف: متى كانت آخر مرة شاهدت فيها فيلماً يقدم صورة للعربي أو الأمريكي من أصل عربي كشخص عادى مثل بقية الناس؟ رجل ربما يعمل عشر ساعات في اليوم، ويعود إلى بيته ولزوجته المحبة له ولأسرته، ويلعب الكرة مع أطفاله، ويصلى مع أفراد عائلته. لا يتوقف جاك شاهين في كتابه الموسوعي الذي ترجمته خيرية البشلاوى وأحمد يوسف وصدر عن المركز القومي للترجمة حديثاً في جزأين، عند حد تحليل الظاهرة لكنه سعى أيضاً إلى تأصيلها. يقول: من الواضح أن المخرجين الأمريكيين لم يصنعوا بأنفسهم الصورة النمطية للإنسان العربي، وإنما ورثوها «وزخرفوها» عن الأوروبيين الذين كانوا أول من أوجد الصور الكاريكاتورية للعرب، ففي القرنين الثامن والتاسع عشر ساعد الكتاب والفنانون الأوروبيون على اختزال المنطقة إلى مجرد مستعمرة، فقدموا عبر أعمالهم صوراً للصحارى المهجورة، والقصور المليئة بالفساد والأسواق العامة القذرة التي يسكنها «الآخر» ثقافياً. كان هؤلاء يحشدون القصص الخرافية عن «الغرباء البرابرة الذين يقمعون الصبايا الحسان»، يصورونها على أنها حقائق لا شك فيها.

وينتقد جاك شاهين بمنهجه التحليلي هذا العالم الأسطوري الذي حُفر في ذاكرة أغلب المخرجين ولم يبذلوا أي مجهود في تصحيحه واكتفوا به كمرجع يعودون إليه عند معالجة أي موضوع يخص العرب. شاهين يحاول تصحيح الصورة وتعديل زاوية العدسة التي يتعامل بها السينمائيون في أمريكا مع الشأن العربي. هو لا يقول بداهة إن العرب ملائكة، فهم مثل غيرهم لهم أخطاؤهم لكنه ينتقد فجاجة التناول والمبالغة في تصوير المساوئ»، لا أقول إنه ينبغي تصوير الإنسان العربي بوصفه شخصاً شريراً وإنما ما أقوله هو إن كل العرب تقريباً الذين تصورهم هوليوود في أفلامها أشرار وأن في هذا ظلماً بيناً، والتكرار

المتواصل لصور العرب السلبية فى بكرات الأفلام تمثل فى تحديد قاطع صوراً كريهة ومعادية تتنقل من جيل لآخر. كتاب جاك شاهين يعتبر بشكل ما وثيقة إدانة لممارسات صناع الأفلام الأمريكية في حق أهل العرب ولكي تتأكد ليس عليك إلا قراءة تحليل شاهين المتقن لمضمون مجموعة ضخمة من هذه الأفلام وحين تفعل ستتشعر وكأنك شاهدتها بالفعل.

عاد الأمريكي جاك شاهين من جديد، ولكن هذه المرة بنسخة عربية، من خلال قيام المركز القومي المصري للترجمة بترجمة كتابه" الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية". وهو كتاب كشف فيه الناقد الأمريكي من أصل لبناني شاهين، أساليب سينما هوليوود في تشويه الشخصية العربية وربطها بالإرهاب. وشاهين هو ناقد أمريكي ومؤلف كتاب "العرب السيئون" أساليب هوليود الأمريكية لتشويه صورة العرب ، وهو أستاذ بــ جامعة إلينوي. وهو صاحب «العرب الأشرار في السينما.. كيف تشوه هوليود أمة» (Reel Bad Arabs)، متناولا الطريقة التي تستخدمها صناعة السينما الأميركية في تشويه صورة العرب والمسلمين في كل فيلم تقريبا طوال القرن الماضي.المؤلف جاك شاهين ولد في بنسلفانيا لأبوين مسيحيين هاجرا من لبنان، ولم يلتق قط بأي مسلمين عرب حتى بلغ الأربعين من عمره عندما فاز في السبعينيات بمنحة من مؤسسة فولبرايت الأميركية للتدريس في بيروت التي كانت الحرب تمزقها آنذاك، وأدرك على الفور أنه لا يعرف شيئا في الواقع عن المنطقة التي ينتمي إليها أسلافه. فالقليل الذي شاهده عن العالم العربي عن طريق التلفزيون وفي الأفلام لا علاقة له بخبرته المباشرة في لبنان والأردن والسعودية. وأمضى شاهين العقدين التاليين في محاولة اكتشاف السبب وراء الاختلاف بين صورة العالم العربي في الولايات المتحدة وواقعه. ويقول شاهين إنه يتم الربط بشكل منتظم بين الإسلام وسيطرة الرجل على المرأة والجهاد وأعمال الإرهاب. وقال «أن تكون عربيا يعني أن تكون مسلما ويعني أن تكون إرهابيا.. تلك هي الصورة السائدة عن الإسلام». ومن بين جميع الأفلام التي درسها شاهين منذ عام 1980 لم يضع سوى 12 فيلما منها في قائمته «لأفضل» الأفلام التي تتضمن صورا إيجابية للعرب ومن بينها فيلم "روبين هود.. أمير اللصوص" الذي أنتج عام 1990، وفيلم «المحارب الثالث عشر» الذي أنتج عام 1999. ويقول المؤلف «عندما ننظر إلى تشويه المسلمين العرب فإن ذلك يجعل كراهيتهم وقتلهم أسهل كثيرا». وأضاف «يجب ألا ننخرط في تشويه شعب بسبب أعمال أقلية ضئيلة».

ويرى شاهين أن مئات الأفلام التي ترجع إلى عام 1914 تصور العرب وكأنهم «شر خالص» مشيرا إلى فيلم «قواعد الاشتباك» (Rules of

Engagement) الذي أنتجته شركة باراماونت عام 2000 باعتباره فيلما «يعزز الصور النمطية التي ألحقت ضررا تاريخيا ويشجع على تصوير العرب بشكل عام وخطر بأنهم معادون متطرفون بشدة للأميركيين».

وكان المركز القومي المصري للترجمة ، قد أصدر حديثا النسخة العربية من كتاب " الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية " بجزئيه الأول والثاني وهو من تأليف جالك شاهين وترجمة خيرية البشلاوي ومراجعة أحمد يوسف.حيث يبرز المؤلف في مقدمة الكتاب كلمة للصحفي الشهير سيدنى هاريس، فهو يقول إن الصورة الكاريكاتورية الشائعة لشخصية العربي العادية، هي صورة أسطورية تماما مثل الصورة القديمة لشخصية اليهودي رجل يرتدي الجلباب والعمامة، شرير، خطير، مشغول أساسا باختطاف الطائرات وتفجير البنايات العامة ومن بين ما يزيد عن 900 فيلم أمريكي تمتد من عصر السينما الصامتة وحتى عصر الأفلام الحديثة التي تعتمد على أحدث التكنولوجيا لم يجد المؤلف سوى 12 فيلما تقدم صورة ايجابية للشخصية العربية. ويوضح الكتاب أن الإدارة السياسية والعسكرية والسينما في أمريكا، تتبع بعضها البعض، حيث يؤثر كل منهما في الآخر، فالسياسة تؤكد تشويه صورة العربي بينما تعطى ذرائع لهذا التشويه وتكون النتيجة النهائية، أن يستقر في وجدان المتفرج الأمريكي بشكل خاص والمتفرج الغربي بشكل عام؛ تلك الصورة النمطية التي تنزع عن العربي ملامحه الإنسانية وتحوله إلى مجرد "كائن" له صفات سلبية شريرة كما فعلت السينما الأمريكية مع الهنود الحمر. ويؤكد المؤلف أن هوليوود قدمت صورة العرب الأشرار في أكثر من تسعمائة فيلم روائي طويل يقدمها الكتاب بحسب الترتيب الأبجدي لأسمائها مع التركيز على مشاهد بعينها وعلى حوارات مهمة تتعلق بالشخصيات العربية على الشاشة كما يقدم ملخصا للسيناريوهات وقائمة بالممثلين الذين شاركوا في تلك الأفلام.

الهوامش:

[1]قاسم عبده قاسم، الحروب الصليبية في الأدبيات الربية والأوروبية واليهودية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987، ص.16.

[2] عبد القادر طاش، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1993، ص. 41.

[3]عبد القادر طاش، مرجع سابق، 60.

[4] رضوان بلخيري، صورة المسلم في السينما الأمريكية تحليل سيميولوجي لفيلمي الخائن(Traitor) والمملكة(The Kingdom)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، الجزائر: كلية العلوم السياسية والإعلام، 2010/2009، ص. 24.